الفصل السابع

منهج التّربية والتعليم وأساليبهما وأثر التّربية التّرغيبية في تحصيل العلم الشّرعي

البحث الأول:

أصول التّربية في الإسلام

التّربية الإسلامية هي الأسلوب المميّز الذي اتخذه الإسلام لتربية النشء تربيةً إيمانيّةً وذلك لأنّ هذه التّربية ترمي إلى فصل العقل الإنساني وتدريبه على التّفكّر والتّأمل والنّظر والبحث، واستغلال الذكاء الإنساني إلى أقصى طاقاته من أجل خدمة الفرد ورفع شأن المجتمع، وفي الوقت نفسه تهدف إلى تهذيب الوجدان الإنساني وإعلاء الدّوافع والارتقاء بالسّلوك وإيجاد ألوان من التّعامل الاجتماعي التي تضع لكل إنسانٍ حدوداً في تعامله مع الآخرين، فتسود المجتمعَ روحُ الإخاء والتّعاطف والتّآزر.

وبالنّظر إلى جذور التّربية الإسلاميّة وقوّتها ومكانتها وحداثتها نجد أنّها لم تكن في وقتٍ من الأوقات منعزلةً عن تطوّر الحضارة الإنسانية والتّقدّم العلمي الكبير، بل كانت التّربيةُ الإسلامية في عصور القوّة تُواكب هذا التّطور كله وتشدُّ من أزره بل كانت تسبقه في بعض الأحيان، ولهذا فطن النّبيُّ عليه الصّلاة والسّلام منذ أوّل ظهور الإسلام إلى أهمية التّربية فوجّه النّظرَ إليها وأمرَ بتعليم القراءة والكتابة، ولم يكد القرن الثاني الهجري يطلع حتى كان ثمة جهاز تربويٌّ متغلغل في كل ناحية من نواحي المجتمع الإسلامي، وقد ازدهرت الحضارة الإسلامية، بسبب دقة هذا النّظام وانتشاره، فكانتْ تلك التّربية مُحقّقةً لروح الإسلام.

وحينما تنظر إلى التّربية الإسلامية نظرةً عادلةً فاحصةً تجد أنّها تربية مفتوحة

الحدود ممتدة الأرجاء، شاملة لكل ما في الحياة من مجالاتِ تقدّمٍ وارتقاءٍ في أُسُسِها الفكرية والنّفسية والمادّية، فهي تربية لا يمكن أن تحدّها حدود ضيقة من الفكر أو حدود ضيقة من النّفس، بل نجد أنّها تربية منفتحة الحدود، ولهذا كان الإسلام صاحب السبق في معرفة التربية بمعناها الشامل، كما عرفها بمعناها المتكامل، كما عرف التّربية المستمرة مدى الحياة قبل أنْ تعرف التّربيةُ الحديثةُ ذلك كلَّه بحوالي ثلاثة عشر قرناً من الزّمان.

ولا غرو أنّ التّربية الإسلامية تختلف عن الألوان التّربوية الأُخرى؛ لكونها تربيةً شاملةً متكاملةً متوازنةً واقعيةً، تشمل كلَّ جوانب الإنسان وحياته، وتعمل على بنائه بناءً واقعياً قائماً على أسس فكرية سليمة، وما تلك الأوصاف التي اتّصفت بها التّربية الإسلاميّة إلّا لكونها تربيةً لها أساليبُها في تربية النّفس، فهي تسعىٰ إلى تربية الأفراد باستخدام الحكمة القائمة على الإقناع الفكري الهادف، واستخدام الموعظة الحسنة، وكذا باستخدام الأساليب البيانية: كالقصة، وروائع التّصوير الفنّي، وطرق الكناية والاستعارة والمجاز وضرب الأمثلة إلى غير ذلك ممّا يعرفه مهرة البُلغاء والبيانيين من أدباء وشعراء وباحثين.

وإلى جانب تلك الوسائل والأساليب التي تستخدمها التّربية الإسلامية في تربية النّشء نجد أنّها تُعطي جانب سلوكه النّفسي كأسلوب تربوي، جانباً كبيراً من الأهمية؛ لكونها تتجاوز حدود القول إلى مختلف الطرق العلمية التّرغيبية والتّرهيبية، لكون هذا الأسلوب له قوة التأثير في حلّ كثير من المشكلات التّعليمية، ولكونها أشدَّ الأساليب والوسائل التّربوية لدى بعض النّفوس، التي يأسرُها الإحسان المادّي أكثر ممّا تأسرها الأساليبُ البيانيّةُ الرّفيعة.

ومن هنا تتضحُ لنا الأهمية العظيمة للتّربية الإسلامية وإسهامها في إعداد النّشء إعداداً سليماً، ولهذا ينبغي أنْ نقول: إنّ الإدراك السّليم لأُسس التّربية الإسلاميّة ينبغي أن يكون فيه استبعاد للظنّ السّائد أنّ هذه التّربية تعني المنهج الذي يقدم للتّلاميذ بقصد تلقينهم ما احتواه في جانب العقيدة والعبادات والمعاملات، وكذا استبعاد الظن بأنّ هذه التّربية إنّما هي تعليم التلاميذ المبادىء الأخلاقية الإسلامية فقط،

فالتّربية الإسلامية تفوق هذا الوصف لتصبح الحياة نفسها؛ فهي لا تعني فقط الأخلاق أو الآداب التّقليديّة، بل إنّها تعني أعظم من هذا وأكبر، إذ لو كانتْ تعني هذا فقط لكان الأمر في غاية السّوء ولما أصبح للإسلام حضارة متميزة منفردة عن غيرها من الحضارات.

وبالنّظر إلى التّربية التّرغيبيّة كأحد الأساليب التي تعتمد عليها التّربية الإسلاميّة في إعداد النّشىء نجد أنّها قد حظيتْ باهتمام كبير في ديننا الإسلامي، ويدلُّ على ذلك تلك النّصوص الكثيرة التي جاءت في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة التي تبرز مكانة التّربية التّرغيبيّة في إقامة المجتمع المسلم، والتي تُوضح مسؤوليةَ كلِّ فردٍ عن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

ولقد أبرز الإسلامُ في مصدريه العظيمين القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الأثرَ الذي تركته التّربية التّرغيبيّة في نفوس الأفراد ومعاملاتهم بصورةٍ ملفتة للنّظر، الأمر الذي يؤكد ضرورتها وأهميّتها، هذا فضلاً عن كونها وسيلةً لتطبيق العلم بالعمل، إذْ قدْ اهتم الإسلام بالعمل بما يهدي العلم اهتماماً بالغاً، وحثّ عليه حثاً شديداً، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾(١).

والتّربية التّرغيبيّة مجالها الحياة الإنسانيّة كلها، وما تشمله من جوانب متعدّدة، فنجدها تُرغّبُ في النّماء العقلي والجسدي والانفعالي والاجتماعي، وتضع السُّبلَ والأساليبَ التي يمكن اتّباعها لهذا النّماء بصورة محبّبةٍ ومشوّقةٍ، وهي توجيه للتعقل والتّبصر والبحث في خلق الله تعالى، وهي توجيه إلى الامتثال بما أمر الله تعالى والنّهي عن ما نهىٰ عنه، ويُؤكّد هذا النّصوص القرآنية وما جاءت به السّنّة النّبويّة، إذْ نجدُ أنّ هناك التّربية التّرغيبيّة في طلب العلم قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾(٢).

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

قوله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ الله بهِ خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين»[١]. وفضلاً عن هذا نجد التّربية التّرغيبيّة واضحةً كلَّ الوُضوح في العباداتِ والمعاملاتِ وفي كل أمورِ الدِّين والدنيا.

فهي بهذا أصلٌ من أصول التّربية الإسلاميّة الفاعلة.

البحث الثاني:

العلم والتّعليم في منهج التّربية الإسلاميّة

إنّ الإسلام يفرضُ على المسلمين أنْ يكونوا أمّةً متعلمة، وذلك لأنّ العلم هو الوسيلة الأولى لبناء الشّخصية المسلمة، ومن هنا نجد الإسلامَ يهيّىء كلَّ ما يلزم لدفع المسلمين إلى طريق التّعليم والتّعلّم، ولهذا كان أوّلُ ما نزل من آيات القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾[٢]، فهذه أول دعوة تسمُو بقدر العلم وتُشير إلى قيمته.

لكن مما تجدر الإشارة إليه أن العلم في نظر الإسلام لا خير فيه ولا أثر له إن لم يهدِ إلى الحقيقة الأولى وهي معرفة الله تعالى. ولا شكّ أنّ سبيل هذه المعرفة هو الترجمة العملية للأخلاق والمبادىء والأسس التي دَعَا إليها الدّين الإسلامي، ومن أجل ذلك حرص الإسلام الحرص البالغ على أن يكون العلم مقروناً بالعمل، ويعود السبب في ذلك أن تكوين أخلاق الإنسان وروحياته وبناء علاقاته الاجتماعية لا تقوم بالوعظ وحده ولا بالحفظ وحده، بل تحتاج إلى أفعال يُمارسها الإنسان لتتكوّن أخلاقه عملياً ليبني علاقات مع بني الإنسان بالواقع. إذْ ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ تعوّد

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري صحيح البخاري، القاهرة، المكتبة السلفية، ب . ت. ج ١، ص: ١٦٤.
(٢) سورة العلق، الآيتان: ١ - ٢.

المَرْء على النّظام في الحياة، وعلى ضبط النّفس وعلى الحياة الاجتماعية التعاونية، كلها تتطلّب مراناً وممارسة يومية تلازم حياةَ الإنسان ليلَ نهار.

وبالنّظر إلى موضوعات التّربية في الإسلام في كل الجوانب المختلفة في العقائد وفي العبادات والمعاملات، نجد أن الأمر يفضي فيها بالممارسات والتطبيق العملي لما اشتملت عليه من الحقائق والمفاهيم والتعميمات، وإنّ الدِّين الإسلامي حينَ يوجه إلى ضرورة استخدام هذه الطريقة في تربية النّشء إنّما يهدف من ذلك تكوين الشّخصية الملتزمة بالكمال السّلوكي المنشود.

مراعاة قواعد التّعليم:

يعنى الإسلام أكبر العناية بالتّعلّم، ومن هنا نجد أن الحقّ تبارك وتعالى قد كرّم الإنسانَ ومنحه العقلَ وأعطاه القدرةَ على التّعلّم، وإنّ المتتبّع لمنهج القرآن الكريم يلاحظ أنه حينما دعا الأفراد إلى الإيمان بالله فقد وجههم إلى بلوغ ذلك عن طريق التّعلّم والبحث العلمي، باعتبار أنّ ذلك هو الوسيلة الأولى للإيمان بالله والقاعدة المتينة لبناء الشّخصية المسلمة، ولذلك نجد أن أوّل آية نزلتْ في القرآن الكريم تدعو إلى العلم إذ يقول الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾[1]. ثم تؤكد السّنّة النّبويّة هذا الجانب في الدفع إلى التّعلّم، ويتضح هذا في قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**ومَنْ سَلَكَ طريقاً يلتمِسُ به علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة**»[2].

وممّا تجدر الإشارة إليه: أنّ حال التّعليم لا يصلح إلّا إذا كان المعلّم في وضع يُمكّنه من تنظيم الموقف التّعليمي وترتيبه وتوجيهه الوجهة النّافعة للعملية التعليمية، والميسّرة لسبيلها على المتعلّم. وأن تكون لدى المعلم القدرة على المرونة في تعليم النشء، إذ من المعروف أنه تزداد قابلية الفردِ للتعلّم كلما توافرت لديه الرغبة في التعليم!! حيث يستطيع أن يركز انتباهه ويستمر في بذل الجهد، لتحقيق الغرض الذي

(١) سورة العلق، الآيتان: ١ - ٤.

(٢) أبو الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج ١٧، مرجع سابق، ص ٢١.

يسعى إليه، وتقل قابلية الفرد للتّعلُّم إذا قلّتْ عنده الرّغبة أو إذا أجبرنَاه على التّعلّم رغم إرادته.

البحث الثالث:

طرق وأساليب التّربية الإسلاميّة

إنّ المتتبّع لمصادر التّربية في الإسلام يلاحظ أنّها لم تعتمد على طريقة واحدة في تربية الأفراد وتنشئتهم، بل إنها اتخذت طرق ووسائل متنوعة، بغية إيجاد الفرد الصّالح، لأنّها تدرك خصائص الأفراد، ولذا نجدها تذكرهم في القرآن، بغاية المدح وبغاية الذّم وفي الآية الواحدة، وما ذلك إلّا لأنّه أهل للكمال والنّقص، لما يطرأ عليه من استعداد لكل منهما.

وإنّ من أهمّ وسائل التربية ما يلي:

١ - اتّباع القرآن والسنّة:

إنّ القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة هما المرجعان الأساسيان في توضيح ما شرّع الله لعباده في كل جوانب الحياة في العقيدة وفي العبادات والمعاملات وفي كل أمر من أمور الحياة الدّنيا والآخرة ذلك لأنّ للقرآن منهجَهُ الذي يتوجّه إلى النّفس بأكملها، فهو يُقدّم إليها غذاء كاملاً يستمد منه العقل والقلب، كلاهما، نصيباً متساوياً!. ولم يكن هذا بدع وإنّما ذلك حقيقة فحواها ما اشتمل عليه الكتاب والسّنّة النّبويّة من معارف يقينيّة، وأحكام صحيحة يرجع إليها في الاختلاف والائتلاف، وحينما يتبع الكتاب والسّنّة ويلتزم بهما بالصّورة التي أمر بها الله في قوله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1]، فإنّ ذلك يعني أننا التزمنا بهدي القرآن وجعلنا الأخذ ببقية الوسائل أمراً ميسوراً ذلك لأنّ دروس القرآن لو حققت آياتها لكانت من أفضل الوسائل لتحقيق

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

الهدف الأسمى للتّربية الإسلامية والأثر التّربوي لجميع أسس هذه التربية!. وأنّ توجه المعلم إلى القرآن واتخاذه منهجاً للحياة وتحقيق ما جاء به هو تحقيق في نفسِ الوقتِ للتّربية التّرغيبيّة.

وإنّ الاستناد إلى القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة للانتفاع بما جاء فيهما يعود في المقام الأول إلى ما صرّح به الرسول ﷺ بقوله: «**تركتُ فيكم ما إنْ تمسكتُمْ بهِ فلَنْ تضِلُّوا بعدِي أبداً: كتابَ الله وسُنّةَ نبيّهِ**»[1]. وكذا لكونهما - أي القرآن والسّنّة - جمعا كل ما يحتاجه الإنسان في حياته ولأن فيهما: احترام عقل الإنسان والتوجيه العلمي، وعدم معاندة الفطرة البشرية، ومراعاة الحاجات الاجتماعية. ولا شك أن هذه الأمور كفيلة لتنشئة التلاميذ وتشويقهم للتفكر في خلق الله تعالى وعبادته.

٢ - القدوة الحسنة:

تُعتبر القدوةُ الحسنةُ من أهمّ آثار التّربية في الإسلام وأعمقها أثراً، إذْ أنّها أعطتها وزناً كبيراً، وجعلتها أساساً للتّعليم ونموّه، وجعلتْها أُولى قواعد التّربية والتعليم والتّشغيل! ومن هنا كانت القدوة عاملاً كبيراً في صلاح الفرد أو فساده، لِما لها من تأثير في شتّى الجوانب الخُلُقيّة والاجتماعية والوجدانية، ذلك أنّ القدوة التي يقتدي بها الطّفلُ أو الإنسانُ ثم الصّداقات التي يكونها، فهذه كلها قد تبني المرء إنْ كانتْ صالحةً خيّرةً، وقد تهدمه إن كانت شريرة.

ولما كانت القدوة الحسنة طريقاً من طرق اكتساب الفضائل، والمثل الحي للسلوك الواعي الجيد في الحياة، لهذا فقد اتخذها الدين الإسلامي وسيلة من وسائله العديدة للرقي بالمجتمعات المسلمة إلى مراتب الكمال السلوكي. فقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى أهمّيّة القدوة الحسنة في التربية، ونجد ذلك في مواطن كثيرة منه إذ يقولُ الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2]، وكذا قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا

(١) صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٨٤، طبعة القاهرة.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، كما خاطب الله رسولَهُ والمؤمنين معاً بقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[٢]. فمن خلال هذه الآيات القرآنية، تجدُ الدّليلَ الواضح الذي يُؤكّد على أهميّة القدوة وأنّها من أنجح الوسائل في التّربية. ومما يزيد من تأكيدها تنديد القرآن بمن لا يأخذون بها، إذْ يقول الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٣]، وكذا قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[٤].

والمنهج القرآني حينما يركز على ضرورة وأهمية القدوة الحسنةِ في التّربية فإنّ ذلك يعود إلى مجموعة من الأسباب وهي على النّحو التّالي:

١ - إنّ في فطرة الإنسان ميلاً قوياً للمحاكاة والتّقليد، الأمر الذي يسهل عملية تعلم الأعمال الرّاقية، التي لم تصل إلى معرفتها الأجيال السّابقة إلا بعد تطوير كثير اعتمد على الاختبار والتجربة والتّحسين واختيار الأفضل.

٢ - إنّ المثال الحيّ الذي يتحلى بجملة من الفضائل السّلوكية يعطي غيره قناعة بأن بلوغها هي من الأمور التي في متناول القدرات الإنسانية، فمما نشهده في مجال التّربية أن كثيراً من النّاس يرون بعض الأمور مستحيلة الوقوع، لأنّهم لم يُعالجوا قدراتهم للقيام بها، فإذا شهدوا غيرهم يفعلها أخذوا يطوّعون قدراتهم حتى يُكْسِبُوها المهاراتِ المطلوبة لذلك العمل بالمعالجة والمحاكاة والتّدريب.

٣ - إنّ المثال الحيّ المرتقي في درجات الكمال السّلوكي يثير في الأنفس الاستحسان والإعجاب، ومع هذين الأمرين تتهيّج دوافع الغيرة فيها، وعند ذلك يحاول الإنسان الخيِّر تقليد ما استحسنه وأعجب به، بما يتولّد لديه من حوافز قويّة تحفزة لأن يعمل مثله حتى يحتل درجة المجد التي سبقه إليها.

٣ - أسلوب الموعظة الحسنة:

يحظى أسلوب الموعظة بمكانة كبيرة في التّربية في الإسلام لكونه من أهم وسائل

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.
(٤) سورة الصف، الآية: ٣.

التّربية المؤثرة في تكوين الولد إيمانياً وإعداده خلقياً ونفسياً واجتماعياً، لهذا نجد القرآن الكريم قد اتخذها منهجاً لتربية الأفراد، ويؤكّد هذا ما دل عليه السّياق القرآني في أكثر من موضع فيه، فمن ذلك قوله الحقّ تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾[2]، وكذا قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[3]، فهذه الآيات وغيرها تُؤكّد أهمية الموعظة ودورها المتميّز في استمالة النّفس إلى الحقّ والصّواب.

البحث الرابع:

مفهوم التّربية التّرغيبية

التّرغيبُ في اللّغة: الحرص على الشّيء والطّمع فيه، وهو يعني التّشويق والحثّ على فعل الشيء، يُقال: رغب فلان رغباً ورغبةً، ورغّبَهُ: أي حرّضه على الشّيء وطمع فيه. وإليه ابتهلَ وضَرَعَ وطلَبَ، ويُقال: رغّبَ فيه، أي جعله يرغبُهُ، وأعطاه ما رغّبَ فيه.

والتّرغيب في الاصطلاح: وسيلة استرضاء واستعطاف لِما لدى الإنسان من طمع بمنافعَ ولذّاتٍ وخبرات معجلة أو مؤجّلة فمتى استرضيتَ النّفس بشيءٍ من ذلك سكنت عن الإنسان الصوارف له عن طريق الخير وغدا سهل الانقياد فيه وانفتحت نفسه للاقتناع به والتعلق الشّديد بأسبابه.

والتّرغيب: تحبّب وإغراء بمصلحةٍ أو لذّةٍ أو منفعةٍ آجلة مؤكّدة، خيّرة خالصة من

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

الثّوائب، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارّة أو عمل شيء ابتغاء مرضاة الله.

أهمّيّة التّربية التّرغيبيّة:

هناك عدد من الحقائق الأساسية التي يجب أن تتنبّه إليها لتصل في موضوع أهمية التّربية التّرغيبيّة إلى فكره صحيحةٍ دقيقةٍ، وأوّل ما يجبُ أن نُوجّه إليه الأنظارَ أنّ الإسلام يختلف في طبيعته ومداه عن كثير من الأديان السّابقة، فهو لا يقتصر على العبادة والإيمان، على أساس أن الدّين لا يعني أكثر من الإيمان والعبادة كما يفعل كثير من الديانات التي تفصل حياة الإنسانية الاجتماعية السّياسية والاقتصادية، فلا تعرض لها ولا توجّهها ولا تشرع لها كأنّها أمور غير هامة، ولكنه - أي الإسلام - يشمل بعنايته حياة الإنسان في المجتمع، حياته في داخل الأسرة، وحياته في المجال السّياسي والاقتصادي، ويشرع لكل ذلك الشّرائع الضرورية لتوجيهها إلى غايته الطبيعية التي تكفل السّعادة الإنسانية في هذه الحياة، فإذا تذكرنا أنّ القرآن الكريم بوجهٍ خاصٍّ هو القوة الفعالة التي اعتمدت عليها رسالة الإسلام أدركنا في المجال أنّه لا محالة يتضمن النّظم السّياسية والاجتماعية والاقتصادية والتّربوية، كما يحتوي أيضاً على القصائد والعبادات، وهنا نرى أول خيط من الخيوط التي تربط بين الكتاب العزيز وحياة المجتمع.

ولمّا كان الإسلام هداية للنّاس جميعاً وواقعياً في جوانبه العملية كانت الواقعية فيه تتطلب إيجاد عُنصر التّرغيب في وسائله التّربوية للنّاس، وذلك في كل ما يهديهم إليه من خير، ويدعوهم إليه من فضيلة، وما ذاك إلّا لكي يكفل استقامة النّشء على طريق الإيمان ودلهم على ما يجب عليهم في هذا السّبيل، فهنا يبدو جُهْدُ الآباء والموجّهين في الأسرة في تبصير ذرّيّاتهم بطريق الإيمان وتزيينه أمامهم، ثم يأتي دور الأبناء في الاتّباع عن يقين والاستقامة عن بيّنةٍ، لا تقليداً ومحاكاةً، بل إقناعاً واعتقاداً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1].

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.

وليس بغريب - والأمر كذلك - أن تكون التّربية التّرغيبيّة هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة، وفي المدرسة، وفي المجتمع الكبير مجتمع الأمة الإسلامية، فهي تعتبر أساساً محدداً لبناء شخصية الفرد، تلك الشّخصية التي تهب نفسها لله تعالى في قيامها وجلوسها، في نومها ويقظتها، في غضبها ورضاها، في صداقتها وعداوتها، في بيعها وشرائها، في عملها وراحتها، في أفكارها وآرائها، في توجيهها وإرشاداتها، في نصائحها وتحذيراتها، في كل نَفَس تتنفّسه أو طرفة عين تطرفها.

وتبرز أهميةُ التّربية التّرغيبيّة من كونها أسلوباً رائعاً يساعد على نشر مكارم الأخلاق وبثّها بين التّلاميذ ليصبحوا قادرين على تطبيق حقائق ومفاهيم وتشريعات الدّين الإسلامي تطبيقاً عملياً واقعياً لكونها خطوة حتمية لتنفيذ الشّريعة في المجتمع الإسلامي، وذلك لأنّ أساس الأوامر والنّواهي في الإسلام هو جلب المصلحة ودفع المضرّة.

والتّربية التّرغيبيّة تُسهم بدور فعّال في بلوغ أهداف التّربية الإسلاميّة تلك التي تحتل مكاناً بارزاً في العملية التعليمية التّعلّمية إذْ من خلالها - أي التّربية التّرغيبيّة - يمكن التّوصل إلى إيجاد الاتجاه العقلي والعاطفي الصّحيح نحو الله سبحانه وتعالى ونحو رسوله ﷺ بصورة ميسَّرةٍ محبّبةٍ، ومن خلالها أيضاً يمكن تكوين الفكر الإسلامي المستنير في أذهان النّشء في ضوء تصوّر شامل وتفسير كامل عن الله، والكون، والحياة، والنّاس، والمعرفة.

وتتجه التّربية التّرغيبيّة أيضاً إلى بلوغ كل ما من شأنه تحقيق التّوازن بين الحياتين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وذلك لأنّ التّربية الإسلاميّة في عمومها تؤكد بأن الإنسان مزيج من الروحانية والمادية ولهذا فهي تعمل على التّقريب بين الطبيعة الإنسانية والطبيعة القدسية، وتعمل على تحقيق معنى الخضوع لنواميس الله طبيعية كانت هذه النواميس أو روحية أو أخلاقية. وتعمل التّربية التّرغيبيّة من جانبها لتساعد على بلوغ أهداف التّربية الإسلاميّة لتدعم عملية تكون ما يسمى بفطرة التّديّن لدى النّشء وهو ما تحتاجه التّربية الإسلاميّة لتكوين شخصية الفرد المسلم.

وممّا يؤكد أهمية التّربية التّرغيبيّة كونها لم تعتمد على طريقة واحدة في تربية الأفراد بل إنها اتخذت وسائل وطرق متعددة لتحقيق تربية الإنسان الصّالح. ولأنّها تدرك خصائص النفس البشرية وسماتها، فهي لهذا تربي الفرد عن طريق اتّباع مصادر التّشريع الإسلامي، وتربيته عن طريق القدوة الحسنة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١)، كما تعمل على تربيته عن طريق الإقناع الفكري والعرض القصصي، وكذا الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر إلى غير ذلك من الطّرق والأساليب النافعة.

البحث الخامس:

الترغيب في الإخلاص لله تعالى

كان الإسلام يهدف بتربيته إلى تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه وعواطفه، وتوجيهها التّوجيه السّليم القائم على أساس الدّين الإسلامي، ولما كانت هذه التّربية تنظر إلى المتعلم من منظور الاستخلاف، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢)، ونحاول تنمية الإنسان وجعله عابداً صالحاً انطلاقاً من أن القرآن يجعل العبادة عملاً والعمل عبادة، ويربط بينَ النّفس والجسم والسماء والأرض والدنيا والآخرة كلها في نظام فريد، ونسق سديد.

لهذا كلّه تجد التّربية في الإسلام وجهتْ عنايتَها إلى صفة الإخلاصِ باعتباره مقوّم من مقوّمات بناء شخصية الفرد ناهيك عن أثره على الحياة الاجتماعية بأسرها.

إنّ الإخلاص يعد مفتاحاً للصّحّة النّفسيّة للفرد، وهو عملية تخلية وتحلية، تخلية عن الأوصاف المذمومة، وتحلية بالأوصاف المحمودة، والإخلاص أيضاً ثمرة من ثمرات التّربية الحسنة والأخلاق القويمة، وقد وردت الآيات القرآنية الكريمة في أكثر

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١. (٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

من موضع في القرآن، وهي تحثّ الإنسانَ على الإخلاص، فمن ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[١]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾[٢]، كما أكدت السّنّة النّبوية هذه الصّفة ودعت إليها وإلى الالتزام بها ونجد ذلك واضحاً جلياً في قوله ﷺ: **«إنّما الأعمال بالنيّات وإنّما لكلّ امرئٍ ما نوَى، فمَنْ كانتْ هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسولِهِ ومن كانتْ هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأةٍ ينكحها فهجرتُه إلى ما هاجَرَ إليه»**[٣].

البحث السادس:

التّرغيب في تلاوة القرآن الكريم

إنّ القرآن الكريم كلامُ الله المعجز، وهو الكتاب المقدس في الإسلام، والمصدر الأوّل والأساسي لأحكام الشّريعة الإسلامية، ودستور الأمة الإسلامية في جميع نواحي الحياة، في العقائد والعبادات والمعاملات، في التّربية والاقتصاد والاجتماع، وفي كل أمر من أمور حياتها، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾[٤]. وإن الاعتماد على القرآن الكريم في التّربية الإسلاميّة يرجع في المقام الأول إلى ما وعد به الحق تبارك وتعالى في الحفظ له وتبيّن كل شيء فيه، ويُؤكد ذلك السّياق القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾[٦]، وإضافة إلى كل ذلك نجد أن القرآن الكريم ينتهج في تربية

(١) سورة البيّنة، الآية: ٥.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٩.
(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٦٨٩. ومسلم في صحيحه برقم ٩٠٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

opeikan.com

الإنسان مناهج يجب تمييزها إجمالاً وتفصيلاً، فقد خاطب العقل وناجى العواطف، وحاسب السّرائر، وأدّبَ الحواسَّ، وهذّب الإنسان.

والقرآن الكريم له طبيعته المميّزة الخاصّة الفريدة لشموله مكونات العقيدة الإسلامية، وفيه التّدريب العملي لكل ما يجب أن يقوم به الفرد في ممارسته لشؤون حياته، وفيه التّوجيه إلى التّربية السلوكية التي تساعد على بناء شخصية الفرد ونجاحها في التعامل الفردي والجماعي، وفيه القيم والأخلاق والمبادىء الصّحيحة التي ارتضاها الله تعالى للنّاس جميعاً.

البحث السّابع:

التّرغيب في قراءة كتب السّنّة المطهرة

السّنّةُ النّبويّة هي المصدر التّالي بعد القرآن الكريم في التّشريع الإسلامي، ومرجعاً هاماً من مراجع التّربية الإسلاميّة، ويُؤكّد هذا ما جاء في القرآن الكريم وهو قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]، إذ قد اشتملت السّنّة المتمثلة في أقوال وأفعال وتقرير الرّسول ﷺ في شتّى المناسبات كثيراً من المقاصد التّربوية، ورسمت للفرد والأمّة منهجاً تربوياً يُؤدّي إلى الخير في جميع شؤون الحياة.

وممّا تجدر الإشارة إليه أن السّنّة النّبويّة قد سارتْ في تربيتها للأفراد سيراً مُحكماً متدرّجاً تبدأ بالفرد ثم بالأسرة، ثم بِمَن يتصلون بها برابطة الجوار ثم بالمجتمع الكبير وتسلك في تربيتها للفرد طريقين، الأولى إيجابية ترتكز على الأسس الصّالحة للخلق الكريم وتتّجه إلى غرس الفضائل، والثانية وقائية تنتزع من الإنسان الرّذائل بأنواعها الفردية والاجتماعية. فهذا المنهج الذي تسلكه السّنّة في تربية الفرد، مُؤدّاه التّرجمة العملية لما نصّ عليه القرآن الكريم.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

من هنا كانت السّنّةُ النّبويّة منهجاً تربوياً عظيماً نستقي منه الكثيرَ من الفضائل والآداب الإسلامية.

إنّ الحديث الشريف فيه كما في القرآن الكريم شرح وتوضيح لكثير من مبادىء الإسلام وتشريعاته، وفيه كذلك الكثير من معالم الطّريق الإسلامي الذي ينظم الحياة للمسلمين. ويجب أن يلمّ المسلمون بشيء من هذا الحديث الذي ينظم أسلوب حياتهم.

وعليهم أن يربطوا ما يدرّسون من أحاديث الرّسول ﷺ بالقرآن الكريم، ليزيد من سوقهم إلى الكتاب والسّنّة وليكتشفوا بأنفسهم أنّ الرّسولَ ﷺ لا ينطق عن الهوىٰ.

والعلم في نظر الإسلام هو قمة الهداية التي يبلغها الإنسان، فما الإيمان إلّا نوع من العلم بالله وتصحيح النظرة إلى الكون والحياة، محوطاً بالأدلّة والحقائق العلمية.

ولما كان الإسلام ينظر إلى العلم على أساس أنه المعيار المحدد لبناء الشّخصية المسلمة فمن هنا نجده قد أوجد المناهج السّليمة لدفع المسلمين إلى العلم، ولهذا نجد أن أوّل ما أنزلَ من آيات القرآن الكريم في هذا الشّأن قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1].

فهذه دعوة تسمو بقدر العلم وتُشير إلى قيمته، ذلك أن المعرفة الجيدة أسبق عند الله من العمل المضطرب ومن العبادة الجافّة المشوبة بالجهل والقصور.

إنّ المتتبّع للقرآن الكريم والسّنّة النّبويّة المطهرة، يجد نصوصاً كثيرة عرضتْ للعمل وأوضحتْ قيمتَهُ وضرورتَهُ للأمة الإسلامية، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[2]، وقوله

(١) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[١]، وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢]. وإذا نظرنا إلى السّنّة النّبويّة في توجيهها إلى العلم فإننا نرى عجباً إذ يقول ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي**»[٣] وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع**»[٤]. ثم يؤكد عليه السلام على فضل العلم بقوله: «**من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموٰات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء...**» الحديث[٥].

ففي الآية الأولى توضيح لمكانة أهل العلم، ثم نرى القرآن في آية أخرى يصرّح بأن العلماء لهم درجات عند ربهم، كما نجد السّنّة النّبويّة تؤكد هذه المعاني وتعطي العلم قدره وتبيّن قيمته في حياة الإنسان.

وما ذلك إلا لواقعية هذا الدين ونظرته الصّحيحة التي ترى أنّ الشّخصية الإنسانية لا يقوّمها ولا يرقّيها غير العلم، ومصداق هذا نجده في الآيات القرآنية والأحاديث النّبويّة والآثار التي ذكرناها.

البحث الثّامن:

التّرغيب في الانتفاع بالوقت في تحصيل العلم

إنّ قضية الانتفاع بالوقت وإنْ كانت مسؤوليّةً عامّةً مشتركة بينَ كل معلّمي المواد الدراسية المختلفة إلّا أنّ هذا لا يُقلّل من أهمية الدّور الذي تقومُ به التّربية الإسلاميّة

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٣) رياض الصالحين للنووي، ص: ٥٢٥.
(٤) سنن أبي داود، ج ٣/ ٣١٧.
(٥) سنن أبي داود، ج ٣/ ٣١٧.

في هذا المجال إذْ ليس غريباً على التّربية الإسلاميّة أن تهتمَّ بالوقت، وتسعىٰ إلى تربية الأفراد تربيةً تجعلهم يُدركون قيمة الوقت وكيفيّة الانتفاع به.

إنّ وقت الفراغ يُمثّل صعوبةً كبيرةً لكل المجتمعات وخاصّة للأفراد الذين يمرّون بمرحلة المراهقة، وقد أشارت الدّراسات الاجتماعية المعاصرة إلى أنّ مشكلة الفراغ وما تُؤدّي إليه هي إحدى المشكلات التي تواجهها مجتمعاتٌ كثيرةٌ ومنها مجتمعنا العربي.

وجديرٌ بالذّكر أننا حينما نتحدّث عن وقت الفراغ فإنّنا نقصد بذلك الوقت الذي يتبقّى للفرد بعد الانتهاء من دراسته أو عمله اليومي، أو أيّ أعمال أو مسؤوليات أخرى لازمة لمتطلّبات حياته، ويكون حرّاً في أن يقضيه في أيّ عمل يشاء.

والذي يهمّنا هنا هو بيان أنّ الإسلام قد حرص حرصاً عظيماً في توجيه الأفراد إلى استغلال وقت الفراغ استغلالاً جيّداً مفيداً، وحذّر الذين يُهملونه ولا يستغلّونه، ففي الحديث الشريف قوله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من النّاس؛ الصّحةُ والفراغُ**»[1].

والإسلام حينَ وجَّهَ إلى ضرورة الانتفاع بالوقت فهو بهذا قام بحل هذه المشكلة وهي الفراغ، ووضع لها حلولاً عظيمة تكمن في تلاوة القرآن الكريم، والتّسبيح والقيام بالعبادات، ووجَّه إلى الانتفاع بالوقت في العلم والعمل، أو أيّ أعمالٍ جسديّة أو عقليّة نافعة لا تتعارض مع الواجبات والفرائض اليومية نحو الأسرة، والشعور بأنّ الوقت كالسّيف إنْ لم تقطعْهُ قطعَكَ، وتلك هي حقيقة هذا الوجود، إنْ لم تغتنمْ أوقاتَهُ ضاعتْ عليك، وذهبت منكَ إلى غير رجعة، ولهذا يجب على المربّي أن يُنشىء التلاميذ على حبّ استغلال الفراغات بكلِّ منفعة، وما أكثر المنافع في دين الله تبارك وتعالى! من العباداتِ ونوافلها، والأذكارِ وأقسامِها، وعلى رأس ذلك

(١) صحيح البخاري - مع شرح: فتح الباري، ج ٧/ ٢٢٩.

كتابُ الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ فما أحلى الأيامَ تُقضىٰ في ظلالها، من تلاوةٍ لكلام الله تعالى، وقراءةٍ لحديث رسوله ﷺ، فهما السبيلان لصرف الحياة فيهما. قال الوزيرُ الصّالح «يحيى بنُ هُبَيرة» رحمه الله تعالى:

والوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيْتَ بِحِفْظِهِ وأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ!

obeikandl.com